# الشكر في القرآن الكريم

د. محمد البيومي عبد الحكيم صدقة *
مدرس التفسير وعلوم القرآن بالكلية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على أفضل الشاكرين وسيد ولد آدم أجمعين، من قال فيه ربه [ وإنك لعلى خلق عظيم ] سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبع هداهم وسار على نهجهم ودعا بدعوتهم آمين.

وبعــد

فإن القرآن الكريم هو إمام الهدى وسبيل التقى وهو أشرف ماتتعلق القلوب المؤمنة، وتهفو إليه بصائر ذوى الألباب وتستغرق فى أنواره وتستلهم من تدبر أسراره فهو أعظم نعمة وأكبر منة، تزدان بشكرها النفوس. وتسمو بتطلعها إلى المنعم عارفة بإنعامه لاهجة بإحسانه. عاملة بآدابه وأحكامه.

[ فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتيـــن، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا: [ إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد ] من قال صدق ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ](١).

(١) أخرجه الترمذى فى الجامع الصحيح ١٧٢/٥ ط الحلبى.

الشكر عند بعض المفسرين .

بين بعض المفسرين أن هناك فرقا بين الحمد والمدح والشكر

فالمدح أعم من الحمد والحمد أعم من الشكر

وذلك أن المدح يحصل للعاقل ولغير العاقل فكما يحسن مدح العاقل على أنواع فضائله يحسن مدح غير العاقل على حسنه أو شكله أو نحو ذلك فتقول مدحت الرجل على كرمه ومدحت الفرس على سرعته أو اللؤلؤة على شكلها .

كما أن المدح يكون على الفضائل التى تكون بالاختيار كما تقول مدحت الرجل على شجاعته أو علو همته — كما تكون على الفضائل التى تكون بالاختيار كما تقول مدحت الرجل على شجاعته أو علو همته — كما تكون على الفضائل التى بالتسخير كما فى الفرس واللؤلؤة أو الفضائل التى ليست بالاختيار كما تقول مدحت الرجل على نسبه .

بخلاف الحمد فلا يكون إلا للفاعل المختار على جميل صادر منه عن اختيار من نعمة أو غيرها لا على فعل صادر بالجبلة والتسخير تعظيما للمحمود وعرفا بفضله سواء وصلت تلك النعمة الصادرة من المحمود للحامد أو لغيره فكأنه يقول : أعطيتنى أو لم تعطى فإنعامك واصل إلى كل العالمين أما الشكر فهو تعظيم للمشكور وعرفان له واعتراف بفضله على إنعام وصل منه للشاكر اختيارا كما قالوا الحمد ثناء باللسان والشكر كما يكون باللسان يكون بالقلب والجوارح كما قال الشاعر :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة  يدى ولسانى والضمير المحجبا

وقيل الحمد على ما دفع من البلاء والشكر لله على ما أعطى من النعماء

[ فى معنى الشكر ]

الشكر هو عرفان الإحسان ونشره ، وشكر الله تعالى الله هو الاعتراف بنعمته ، وفعل ما يجب من الطاعات ، وترك ما نهى عنه من المعاصى ، ونقيضه الجحود والكفر وهو نسيان النعمة وسترها .

يقول الراغب الأصفهانى : [ الشكر تصور النعمة وإظهارها ، قيل وهو مقلوب عنه الكشر أى الكشف ، ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها و ودابة شكور مظهره بسمنها إسداء صاحبها إليها ، وقيل أصله من عين شكرى أى ممتلئة .

فالشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه . والشكر ثلاثة أضرب : —

شكر القلب ، وهو تصور النعمة ، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه .

قال تعالى : [ اعملوا آل داود شكرا ] فقد قيل : شكرا تنتصب على التمييز ، ومعناه : أعملوا ما تعملونه شكرا لله ، وقيل شكرا مفعول لقوله ( اعملوا ) وذكر اعملوا ولم يذكرا شكر والتنبيه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح ](١) .

وأما الشكر من الله تعالى فمعناه إنعامه على عباده مجازاة لهم على ما قاموا به من الطاعات [ فإن الله شاكر عليم ](٢) [ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ](٣) [ إن ربنا لغفور شكور ](٤) [ ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور ](٥) .

---

(١) المفردات للراغب الأصفهانى ص/٢٦٥ ط الحلبى .

(٢) البقرة / ١٥٨ (٣) فاطر / ٣٠

(٤) فاطر / ٣٤ (٥) الشورى /٢٣

— والنعمة فى الإعطاء أكثر من النعمة فى دفع البلاء — فكأنه يقول ، أنا شاكر لأوفى النعمتين فكيف بأعلاهما(١) .

الشكر فى نظر الإمام الغزالى

تنتظم حقيقة الشكر من ثلاثة أمور ، علم ، حال ، عمل

علم هو الحال فيورث الحال ، والحال يورث العمل .

فالعلم يتناول عين النعمة ، ووجه كونها نعمة حقه ، وذات المنعم وصفاته التى لا يتم الإنعام إلا بها .

والحال يراد بها الفرح بالمنعم مع الخضوع له ، أى لا بالنعمة ولا بالإنعام ، ويتمثل هذا الفرح فى اعتبار النعمة وسيلة يتوصل بها إلى القرب من الله تعالى والنزول فى جواره والنظر إلى وجه .

والعمل يقصد به إضمار الخير لكافة الخلق ، وإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه ، واستعمال النعمة فى طاعته مع التوقى بها من الاستعانة بها على معصيته .

يقول الغزالى :

فأما قول : من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب .

وقول من قال : إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه — نظر إلى مجرد عمل اللسان .

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازى حـ ١ ص ٢٩٨ وما بعدهما : تفسير النيسابورى حـ ١ ص ٨١ وما بعدها الأول ط بيروت والثانى على هامش الطبرى ط بيروت .

وقول القائل أن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة — جامع لأكثر معانى الشكر لايشذ منه إلا عمل اللسان .

وقول حمدون القصار : شكر النعمة أن ترى نفسك فى الشكر طفيلياً — إشارة إلى أن معنى المعرفة من معانى الشكر فقط .

وقول الجنيد : الشكر أن لاترى نفسك أهلا للنعمة — إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص(١) .

هكذا يعرف الغزالى الشكر وينقد تعريفاته الشائعة ، وهو يلتمس لأصحابها عذراً عن حالهم أو حال مخاطبيهم ثم يتحدث عن حقيقة النعمة وأقسامها ، بوصفها أصلا من أصول ثلاثة ، أصول لاينتظم الشكر إلا بها .

وفى رأى الغزالى أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر يسمى نعمة وإن كانت النعمة بالحقيقة — عنده — السعادة الأخروية .

وهو يشرح اللذات المسماة نعمة بعدة تقسيمات من بينها [ أن الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى ما هو نافع فى الدنيا والآخرة جميعاً كالعلم وحسن الخلق ، وإلى ما هو ضار فيهما جميعاً كالجهل وسوء الخلق ، وإلى ماينفع فى الحال ويضر فى المآل ، كالتلذذ باتباع الشهوات ، وإلى مايضر فى الحال ويؤلم ولكن ينفع فى المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس .

فالنافع فى الحال وفى المآل هو النعمة تحقيقاً كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء تحقيقاً وهو ضدهما والنافع فى الحال المضر فى المآل بلاء محض عند ذوى البصائر ، وتظنه الجهال نعمة ، ومثاله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فإنه يعده نعمة إن كان جاهلا ، وإذا علمه علم أن ذلك بلاء

---

(١) إحياء علوم الدين بتصرف جـ١٢ ط الشعب ص ٢٢٠ ومابعدها .

سبق إليه والضار فى الحال النافع فى المآل نعمة عند ذوى الألباب ، بلاء عند الجهال ، ومثـــاله الدواء البشع فى الحال مذاقه ، إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء ، والعاقل يعده نعمة ، ويتقلد المنة ممن يهديه إليه ويهيىء له أسبابه . فلذلك تمنع الأم ولدها من الحجامة والأب يدعوه إليها .

فالأب لكمال عقله يلمح العاقبة والأم لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال ، والصبي لجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه ويأنس إلى شفقتها(١) .

والقرآن الكريم فى شتى صوره أحصى أصول النعم وذكر أمثلة شتى لما غمر الناس منها وارتقب من أصحاب الضمائر الحية أن يشكروا صاحبها ، وأن يعرفوا حقه فيها بعد أن بسطها بأروع أسلوب وفى القرآن سورة باسم الرحمن عدت جملة من نعم الدنيا والآخرة ، وفى ثنايا هـذا العدد الموقظ المذكر توجه للإنس والجن هذا السؤال :

[ فبأى آلاء ربكما تكذبان ](٢) .

توجه إليهم عشرات المرات بحمل التقريع بقدر مايحمل التعليم والتذكير [ وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ](٣) .

والكلمة الشائعة فى الترجمة عن شكر الإنسان لربه هى الحمد . . . والحمد كلمة تعنى — مع الشكر — الثناء على الله وتمجيد ذاته ؛ كلمة يرددها

---

(١) المصدر السابق .
(٢) الرحمن / ١٣
(٣) إبراهيم / ٣٤

المسلم وهو يشعر بالمنة والجميل ، ويقر من أعماقه بأن الله مصدر ما اندفق عليه من خير .

فما أغزر النعم التي تنهمر على الناس ليلهم ونهارهم من المهد إلى اللحد ، فهي نعم لو قدروها قدرها وأحسنوا استغلالها لملأت قلوبهم بالحمد وأطلقت ألسنتهم بالثناء .

في كل طرفة عين ، ونبضة قلب يتعرف الله تعالى إلى عباده بما يمنحهم من بركاته ، وينزل عليهم من خيراته ، وهي بركات وخيرات متجددة على اختلاف الليل والنهار فلا غرو إذا استقبلها الناس بمعرفة مسديها وشكره .

[ وهو الذي جعـــل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ](١) .

وقد أمر الله الناس أن يشكروه ، لأن قلة الشكر خسه يجب التنزه عنها ، فإنك لو أطعمت شخصاً شهراً أو شهرين ، أو قضيت عنه ديناً أو أسديت إليه معروفاً وخدمة ثم تجهم لك وأعرض عنك لرأيت أن فراغ الحياة من مثله واجب .

فما ظنك بمن خلق من عدم ، وأطعم وستر ، وأغدق وأمد ، وأسبل نعمة الستر والإيمــان أعواماً بعد أعوام ثم يرى عبده يعاديه بعد كل هذه النعم .

فالأمر بالشكر طريق الكمال والنجاة [ يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ](٢) . [ ولقد آتينا

(١) الفرقان / ٦٢

(٢) البقرة / ٧٢

لقمان الحكمة أن اشكر لله ](١) [ أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير ](٢) بل إن التقوى على عظم شأنها صلة للشكر قال تعالى : [ فاتقوا الله لعلكم تشكرون(٣) [ كلوا من رزق ربكم واشكروا له ](٤) [ فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ](٥) .

هذا وقد وردت مادة الشكر فى القرآن الكريم فى أكثر من سبعين موضعاً ، ولذلك أطال العلماء فى الحديث عن الشكر لمكانته فى الدين .

فقد قرنه الله تعالى بالإيمان فى أن كل منهما منج من عذاب الله تعالى فقال : [ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ](٦) بل قدم على الإيمان لأنه سبب موصل إليه بالنظر فى النعم .

ولما كان القيام بالشكر الحق لله تعالى على أنعمه أمراً عزيز المنال قال تعالى [ وقليل من عبادى الشكور ](٧).

ولذلك لم يثن سبحانه وتعالى بالوصف بالشكر على أحد من أوليائه إلا على اثنين حيث قال فى إبراهيم عليه السلام [ شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ](٨) وفى نوح عليه السلام [ إنه كان عبداً شكوراً ](٩) فما أكثر النعم وما أقل الشاكرين .

لأن توفية حق الله تعالى فى الشكر أمر يتعذر حيث إن التوفيق للشكر

---

(١) لقمان/١٢
(٢) لقمان/١٤
(٣) آل عمران/١٢٣
(٤) سبأ/١٥
(٥) البقرة/١٥٢
(٦) النساء/١٤٧
(٧) سبأ/١٣
(٨) النحل/١٢١
(٩) الإسراء/٣

نعمة من الله تستحق الشكر وهكذا يجد الإنسان نفسه عاجزاً عن توفية حق الشكر لله لأن كل شكر يحتاج إلى شكر ولا ينتهى الأمر إلا إلى العجز عن الشكر .

وقد روى أن هذا الخاطر خطر لداود عليه السلام فقال: يارب كيف أشكرك وشكرى لك نعمة منك على توجب على الشكر لك فأوحى الله إليه ياداود : إذا عرفت هذا فقد شكرتنى(١) .

ومن هنا كان ﷺ يقول فى سجوده : [ أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك(٢) .

فقوله ﷺ لا أحصى ثناء عليك اعتراف منه عليه الصلاة والسلام بالعجز عن توفية الشكر لله سبحانه وتعالى وأن الثناء الحق هو ما أثنى به الله على نفسه أى الثناء الصادر منه على نفسه لأن الكل منه وإليه عز وجل .

فليس الغرض من الشكر الوفاء بحق النعم وإنما الغرض العبودية لله عز وجل والامتثال بالطاعة ومعرفة حق المنعم واستعمال النعمة فيما خلقت من أجله قال تعالى [ هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ؟ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم ](٣) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد .

(٢) أخرجه مسلم من حديث عائشة .

(٣) النمل / ٤٠

فالشكر حق لله وهو طاعة له سبحانه وعبادة يعود ثوابها على الشاكر وحده ، وهذا الثواب وهذه النعمة تفضل من الله سبحانه على المنعم عليه الشاكر لأن نعمه اختياراً من الله تعالى لعباده فهو المعطى سبحانه تفضلا من غير استحقاق لهذه النعم وهو سبحانه أيضا المانح للثواب تفضلا .

فهو يعطى ولا يأخذ ، وهو يطعم ولا يطعم . وهو يجير ولا يجار عليه ولذلك قال عز وجـــل [ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ] أى لنفع نفسه بثواب الله واستجلاب المزيد من النعم دون قيد أو استثناء كما ذكر الحق تبارك وتعالى فقطع بالمزيد مع الشكر دون استثناء حيث يقول : لئن شكرتم لأزيدنكم ](١)

مع أنه استثنى الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة حيث قال : [ وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ](٢) [ فيكشف ماتدعون إليه إن شاء ](٣) [ والله يرزق من يشاء بغير حساب ](٤) [ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ](٥) [ ويتوب الله على من يشاء ](٦) أما من كفر أى لم يشكر ولم يحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص من وصمة الكفران . فإن الله عز وجل فى علاه غنى عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة .

---

(١) ابراهيم / ٧
(٢) التوبة / ٢٨
(٣) الأنعام / ٤١
(٤) البقرة / ٢١٢
(٥) النساء / ١١٦
(٦) التوبة / ١٥

لأنه عز وجل كما وصف نفسه فقال : [ يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد ](١)

أما جزاء الشاكرين فهو أمر لا يغادر قدره لعظمة وفخامة شأنه وسمو رتبته :

يقول الحق تبارك وتعالى [ وسنجزى الشاكرين ](٢)

ويقول أبو السعود : [ وسنجزى الشاكرين ] نعمة الإسلام الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم الله من القوى والقدر إلى ما خلقت لأجله من طاعة الله تعالى لا يلويهم عن ذلك صارف أصلا .

والمراد بهم إما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم ، وإما جنس الشاكرين ، وهم داخلون فيه دخولا أوليا ، والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ، ووعد بالمزيد عليه ، وفى تصديرها بالسين وإبهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شأن الجزاء ، وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى(٣)

ولرفعة قدر الشكر وسمو منزلة الشاكرين نجد إبليس اللعين حين تهدد بنى آدم بعد أن طرد من السماء [ قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ](٤) ولم يجد بعد ذلك شرا يتمنى إلحاقه بهم أعظم من سلبهم صفة الشكر فقال . [ ولا تجد أكثرهم شاكرين ]

وهكذا كان جهد إبليس فى اغراء بنى آدم بالجحود ونسيان ما أولاهم

---

(١) فاطر / ١٥
(٢) آل عمران / ١٤٥
(٣) تفسير أبى السعود جـ ٢ صـ ٩٥
(٤) الأعراف / ١٦ ، ١٧

الله من النعم كان جهده أن يشغلهم بفنون من الغفلة تزين لهم أن يأكلوا من رزق الله ولا يشكروه، وأن يفتحوا عيونهم على آيات العظمة ولا يعجدوه كالدواب تجد أفواتها فتلتهمها، مابقى شيئاً غير ذلك، وتفقد الغذاء فتحس ألم الجوع ولزعه . لاتعى شيئاً غير هذا ، وتستمتع بالعافية فتجرى وتثب ، وتمرض فتستكين .

إنها لاتعرف صبرا على بأساء ، ولا شكراً على نعماء .

وكذلك يريد الشيطان من أبناء آدم أن يعيشوا على هذا النمط المنحط لاذكر ولا شكر .

ولذلك يقرن الله تعالى الشكر بالذكر فى كتابه العزيز فيقول عزوجل [ فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ] لأن ذكر النعمة شكر قال تعالى [ وأما بنعمة ربك فحدث ] وذكر النعمة ذكر الله تعالى .

قال الحسن : أكثروا من ذكر هذه النعم فإن ذكرها شكر ، قال الشعبى الشكر نصف الإيمان ، وقال أبو قلابة : لا تضركم دنيا شكرتموها .

مع أنه سبحانه قال فى موضع آخر من كتابه الكريم [ اتل ماأوحى إليك من الكتاب ، وأقم الصلاة . إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ](٣)

وقيل لرسول الله (ص) وقد أجهد نفسه بالصلاة وأطال السجود وأكثر من البكاء فى السجود إليه قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فاهذا البكاء فى السجود وماهذا الجهد الشديد؟ فقال ﷺ أفلا أكون عبداً شكوراً(٤)

---

(١) البقرة / ٥٢
(٢) الضحى / ١١
(٣) العنكبوت / ٤٥
(٤) أخرجه مسلم عن عروة عن عائشة

وصدق الرسول الكريم فقد كان ﷺ أشكر من شكر وأذكر من ذكر كان إذا استيقظ من النوم يقول « الحمد لله الذي رد إلى روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره »(١) .

وكان إذا إنتهى من الطعام يقول : « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين »(٢) .

وكان إذا عاد من الملاء يقول « الحمد لله الذي إذا قني لذته ، وأبقى في قوته وأذهب عني أذاه(٣) .

وكان إذا لبس ثوبا جديداً يقول : الحمد لله الذي كساني هذا ورزقني إياه من غير حول مني والا قوة(٤) .

وكان إذا عاد من سفر يقول : « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون »(٥) .

وكان الصحيح أن الرسول ﷺ قال : « أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا في الدعاء ؟ قالوا نعم يا رسول الله قال : قولوا : اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك(٦) .

وكان من دعائه ﷺ : « رب إجعلني لك شكاراً ، لك ذكارا ، لك رهاباً ، لك مطواعا ، لك مخبتا ، إليك أمراها منيبا »(٧) .

وأسوأ ما يكون الجحود عندما يكون جماعيا تنحدر إليه أمتي بأثرها فترى كأن هناك تواصياً على إلا يذكر الله بخير وأن تنال نعمة وينسب الفضل

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) المأثورات حسن البنا

(٥) البخاري (٦) الحاكم (٧) النسائي

إلى غيره وما هلكت عاد وثمود إلا بهذا الخلق الذميم قيل لعاد « إذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون »(١) .

وقيل لثمود « إذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون من الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين »(٢) .

لكن هؤلاء وأولئك لم يستشعروا نعم الله وفيضـــه عليهم فحرموا ما جحدوا وسلبوا ما غمطوا وحقت عليهم كلمة العذاب ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى « وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد »(٣) .

وقال الحسن البصرى إن الله ليمتع بالنعمة ماشاء فإذا لم يشكر عليها قلبها عذابا ولهذا كانوا يسمون الشكر الحافظ لأنه يحفظ النعم الموجودة والجالب لأنه يجلب النعم المفقودة وشدة العقاب كفاء لخيانة الجحود .

فالإقرار بالجميل وركون الفؤاد إلى صانعه يجعل المرء أهلا للمزيد لأن النعمة تثمر فيه كما يثمر الماء فى الأرض الخصبة والكنود تراه وما أسوأ عاقبته وقد قص الله تعالى علينا قصة سبأ وعاقبة الكنود وكيف كانت زاهرة طيبة ثم صارت خرابا على ما سبق من سعة ورفاهية .

« لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل

---

(١) الأعراف ٦٩ (٢) الأعراف ٧٤

(٣) إبراهيم ٧

العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور »(١) .

وقد ذم إليه سبحانه وتعالى الكنود أى الجحود الذى لا يشكر نعم الله تعالى وقال الحسن فى قوله « إن الإنسان لربه لكنود(٢) .

أن يعد المصائب وينسى النعم . « وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون »(٣) .

وقد أخبر النبى ﷺ « أن النساء أكثر أهل النار بهذا السبب .

عن ابن عباس قال قال النبى ﷺ « أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن — قيل أيكفرن بالله — قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منكم شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط »(٤) .

وإذا كان كفر العشير وجحود فضله وهو الزوج يؤدى بالجاحد إلى النار فما بال الذين يجحدون فضل الله ونعمته وهو صاحب الإنعام الحقيق وغيره من لهم فضل إن هم إلا أسباب ووسائل لأن النعمة كلها منه عز وجل وبه وإليه إلا فليعلم المؤمن أن أمره كله خير يعنى أنه فى نعمة دائمة تستحق الشكر فى جميع الأحوال سواء كان فى سراء أو ضراء فهو إن كان فى سراء فذلك بداهة يحتاج إلى الشكر لإستدامتها وزيادتها « فبالشكر تدوم النعم » وإن كان فى ضراء فهو أيضا فى نعمة بالصبر عليها والرضا بها كما مر لأنها تكفر خطاياه وترفع درجته وتلك هى النعمة الحق فعن صهيب رضى الله

---

(١) سورة سبأ ١٥ ، ١٦ ، ١٧ (٢) العاديات ٦

(٣) يونس ١٢ (٤) أخرجه البخارى ومسلم

عنه عن النبي ﷺ «قال عجبا لأمر المؤمن فإن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له . وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»(١) .

وعن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»(٢) .

فاللهم لك الحمد حمداً كثيراً خالداً مع خلودك ولك الحمد حمداً لا ينتهى له دون علمك ولك الحمد حمداً لا ينتهى له دون مشيئتك ولك الحمد حمداً لا أجر لقائله إلا رضاك .

(١) أخرجه الإمام مسلم (٢) أخرجه الإمام البخارى